الباب الثامن عشر

ولاية الإسكيا محمد بان

فلمَّا تولى إسكيا محمد بان ، جعل أخاه صالح كرمن فارى ، ومحمد الصادق بلمع، وعزل حامد منها وبادر بقتل أخويْه فرن محمد بنكن [1] ، وفرن الهادى فى كنت وقُبرا فيه متجاورين . فلما سمع الهادى بولايته تعجَّب وقال : قبَّح اللهُ العجلةَ . أحمق منْ خرج من صُلْب والدنا يتولى السلطنة ، وأما الحاج فما قتل أحدًا من إخوانه حتى انقرضت أيامه .

ثم إن إخوانه حقَّروا شأنه ولم تكُنْ أخلاقه مَرْضيَّة عندهم ولا عند غيرهم ، وأيامه بؤس ومجاعة فاتفقوا على عزله ، وتولية بنتل فرم نوح السلطنة فوافقهم عليه وتواعدوا فى ليلة معلومة فى موضع مخصوصة أنْ يأمر بنفخ بوقه هنالك ، ويجتمعوا عليه فيه ويُولوه السلطنة ، ثم انكشف السر له ولا علمَ عند نوح به فقبض هيكى محمد فارى والد كلشع بكر .

وشاع فرم المختار وغيرهما من الكبراء الذين اتفقوا على هذا الرأى وعزلهم ، فأتى نوح الميعاد وأمر بنفخ البوق ، فلم يرَ أحداً فهرب وألحقهم الرجال فقبضوه مع أخيه فارمنذ المصطفى وسجنوه فى أرض دند بأمره وعزل كلشع بكر فرجع لتندرم ، وجعل خلفه واحداً من حراطين تندرم ، فكان كلشع ، ثم مات كرسل ماسن منذ .

فولى كلشع بكر مقامه ، فكان ماسن منذ ، وجعل له سركيا هيكى وعلى جاوند شاع فرم ، وأخاه إسحق بن داوود فارمنذ ، ثم قتل بلمع محمد الصادق بن إسكيا داود كبر فرم علوا الظالم الفاجر عشية الأحد السابع من الربيع سنة ست وتسعين وتسعماية ، فكان ذلك فى كبر ، فأراح اللهُ تعالى المسلمين من شرِّه . فأكل جميعَ ما احتوتْ عليه داره من الأموال .

وخالف على إسكيا محمد بان ، فأرسل لأخيه كارمن فارى صالح أن يأتى ليكون إسكيا لأنه أوْلى به من جهة الكبر ، فأتى فى جيشه ، فلما قارب كبر قال له

---

(١) الإسكيا محمد بنكن : تولَّى الحكم فى عام ١٥٣١ - ١٥٣٧م . واجه فى عهده عدة ثورات . من أشهرها ثورة عثمان كنفار . وقد استمرت فترة حكمه حوالى خمس سنوات .

أصحاب الرأى : انزل هاهنا ، لأن بلمع صادق غدار أهل مكر وخديعة ، وابعث له أنْ يرسل للجميع ما وقع فى دار كير فرم لأنك أوْلَى به . حيث تلفظ لك بالسلطنة ، فإنْ كان على الحق يُرسله وإلا لا يرسله فأرسل إليه وأبَى ، فظهر أنه غيرُ صادق فصار إلى الفتنة بينهما فاقتتلا وقتله بلمع محمد الصادق عشية الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الثانى فى العام المذكور ، وبين قتْله وقتْل كير فرم سبعة عشر يومًا .

اجتمع الجيشان على بلمع ، فعزم على التوجه إلى كاغ لعزل إسكيا محمد بان ، وبعث لبنك فرم محمود بن إسماعيل أنْ يأتى إليه ، ويكون معه فخاف وهرب من بنك إلى كاغ ، ومحمد كر أجى بن يعقوب هو الذى رمى فرن صالح بالحريش عند الملاقاة أولاً فتمكَّن منه ، ثم طعنه بلمع بالحربة ثانيةً فمات من ساعته ، وبعد الغروب أمر بتجهيزه ودفنه .

وأدرك الحال أن مارتف الحاج بن باسى بن الأمير إسكيا الحاج محمد جاء إلى تنبكت يطلب الحرمة عند خُدّام إسكيا الذين كانوا فيه لَمَّا عزم على الدخول بابنة إسكيا محمد بان ، فجاء عند بلمع صادق فى كير يُسلِّم عليه قبل الواقعة التى جرتْ على يد منْ قتل كير فرم . وقتل كرمن فارى . فقال له بلمع : قد رأيت الحال التى كنا فيها ، وأريد أن تكون معنا . فقال : يا بلمع والله لا أتبع أحدًا ما دام إصبع واحد يتحرك فى إسكيا محمد بان .

وجعل بلمع يُلاطفه بالكلام الطيب إلى أنْ قال له : إنْ أردتَ أنْ أزوِّجك ابنتى تزيدها على ابنة محمد بان . فقال له : يا سالك والله لا أتبع أحداً ما دام إصبع واحد يتحرك فى إسكيا محمد بان ، فناداه باسمه دون اللقب ليقطع رجاءه فيه فقبضه وسجنه إلى أنْ تحققتْ الفتنة ووجبتْ .

فقال له كى أجى ، وهو من أقرب الناس إليه وأنصحهم له : أطلق مارنف وخُذْ بخاطره بأفعال الخير ، لأن مَنْ كان فى الفتنة يُحتاج إلى مثله . فأطلقه وعامله بالخير وأعطاه واحدًا من حصان سرجه ، وأمر بإخراج القيد من رجْله فركب الحصان ، وما زال خلخالٌ واحد فى رجْله من زوْج خلخال القيد ، فهرب ساعتئذ وتوجَّه إلى كاغ وقصَّ القصة على إسكيا .

ثم توجه بلمع إلى كاغ فى جيش عظيم من أهل المغرب ، فيهم باغن فارى بكر ، وهنبركى منس ، وبركى أمر ، وكلشع بكر ، وغيرهم ، فارتحل من كير يوم الثلاثاء أول يوم من جُمادى الأول ومشى على عزمه ، فلما سمع ذلك محمد بان تشوَّش من أمره فخرج بجيشه من كاغ للقائه يوم السبت الثانى عشر من الشهر المذكور ، فمات من منزله يومئذ عند القائلة ، قيل : من الغيظ لأنه وُجدت شَفته السُّفلى بجروحات بعض الأسنان .

وقد سمعه الناسُ يقول لَمَّا بلغه الخبر ، أن بلمع يأتيه ليعزله . قبَّح الله سلطته لأنه موضع الذلة والهوان ، ولولا ذلك كيف يجتريء سالكٌ علىَّ ويقول فى حقِّى هذه المقالة ؟

وقيل : مات من سمنه ، لأنه سمينٌ جداً ، وخرج فى يوم شديد الحر ، لابسا درعًا من حديد . وعلى كلٍّ حال مات بالغيظ ، فولت الجيش إلى كاغ ، وميز هك كرى كى عنهم إلى حِدَة فى أربعة آلاف فارس من خصى .